الدرس الخامس

الدعوة الجهرية: بعد أن قضى رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاث سنوات في الدعوة الفردية السرية ، أنزل الله: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤] ، فقام ـ ﷺ ـ ذات يوم على الصفا ينادي أهل مكة ، فاجتمع له نفرٌ كثير ، ومن بينهم عمه أبو لهب، الذي كان من أكثر الناس عداوة لله ولرسوله. فلما اجتمع إليه الناس قال: «أرأيتم إنْ أنبأتكم أن وراء هذا الجبل عدوًا يتربص بكم ، أمصدقيَّ أنتم؟ » فقالوا: ما عهدنا فيك إلا الصدق والأمانة ، فقال: « إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد » ثم راح رسول الله ـ ﷺ ـ يدعوهم إلى الله ونبذ ما هم فيه من عبادة الأصنام ، وانتفض أبو لهب من بين القوم فقال: تبًّا لك ، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله فيه سورة تتلى إلى يوم القيامة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ [المسد:١ -٥] .

واستمر النبي ـ ﷺ ـ في دعوته ، وبدأ يجهر بها في أماكن تجمعات الناس ، وكان يصلي عند الكعبة ، ويحضر مجامع الناس ، و يأتي المشركين في أسواقهم ليدعوهم إلى الإسلام ؛ وقد تعرض للأذى الكثير ، كما زاد أذى الكفار لمن أسلم معه ، من ذلك ما حصل لياسر وسُمَيَّة وولدهما عمار ، إذ مات الأبوان شهيدين من شدة العذاب ، وكانت سُمَيَّة أول شهيدة في الإسلام ، وتعرض بلال بن رباح الحبشي للعذاب الشديد على يد أمية بن خلف و أبي جهل ، وكان بلال قد دخل في الإسلام عن طريق أبي بكر ، فلما علم به سيده أمية بن خلف ، استعمل معه جميع وسائل التعذيب من أجل أن يترك الإسلام ، إلا أنه أبى وتمسك بدينه. فكان أمية يأخذه إلى خارج مكة مقيدًا بالسلاسل ، ويضع على صدره الصخرة العظيمة ، بعد أن يمدده على الرمال اللاهبة ، ثم ينهال عليه ضربًا بالسياط هو وأتباعه ، وبلال يردد: أحدٌ أحد ، حتى مر عليه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو على تلك الحال ، فاشتراه من أمية ، وأعتقه حرًّا في سبيل الله.

لقد كان من الحكمة مع وجود هذه الاضطهادات أن يمنع رسول الله ـ ﷺ ـ المسلمين من إعلان إسلامهم ، كما كان يجتمع بهم سرًّا ؛ لأنه لو اجتمع بهم علنًا ، حال المشركون بينه وبين ما يريد من تعليمهم وإرشادهم ، وربما أدى ذلك إلى مصادمة بين الفريقين ، ومعلوم أن المصادمة قد تؤدي إلى تدمير المسلمين وإبادتهم ؛ لقلة عددهم وعدتهم ؛ فكان من الحكمة الاختفاء ، أما رسول الله ـ ﷺ ـ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهراني المشركين ، برغم ما يناله ـ ﷺ ـ من الأذى من كفار قريش.